

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة التاسعة عشرة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عن نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلميه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين المسيحيين من أصل يهودي.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن الإنسان يتبرر بالإيمان فقط، وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. واعتبر بولس أن عهد الناموس كان عهداً شرطياً ومؤقتاً. وكشف أنه في الوقت المعين أرسل الله المسيح. ثم تحدث عن هاجر جارية إبراهيم الخليل وزوجته سارة، وكيف كانا يرمزان إلى عهد الناموس وعهد النعمة. وهكذا كشف الرسول بولس عن الفرق الكبير بين هذين العهدين. وأكد أن المؤمن بالمسيح ليس بحاجة لكي يعمل بفرائض الناموس، لا سيما وأن الذي يتمسك بالناموس أو بالشرعية، لا يستطيع أن يرث مواعيد الله بالبركة.

ثم دعا الرسول بولس المؤمنين أن لا يفقدوا أنفسهم من جديد بنير عبودية الناموس، بل يثبتوا في حرية المسيح. وأوضح أن الذين يحاولون الحصول على بر الله عن طريق الناموس، فإنهم يسقطون من نعمة الله. بينما الذين يعتمدون بالكلية على نعمة الله، يكون عندهم الرجاء الأكيد بالتبرير والخلص. وأكد أن الختان أو التطهير، لن يأتي بأية فائدة للمؤمن في المسيح، بل الإيمان العامل بالمحبة، أي الإيمان الذي يثمر سلوك المحبة.

وكنا ختمنا اللقاء الماضي بحديث الرسول بولس عن عثرة الصليب، وذلك عندما قال: "وأما أنا أيها الإخوة فإن كنت بعد أكرز بالختان فلماذا أضهد بعد. إذاً عثرة الصليب قد بطلت..." (غلاطية ٥: ١١ و١٢) أي أنه لو كان الرسول بولس يبشّر بضرورة الختان للمؤمنين، لكانت عثرة الصليب قد بطلت أو انتهت. فما هي هذه عثرة الصليب يا ترى؟

لكي نجيب عن هذا السؤال الهام، ونفهم ماذا قصد الرسول بولس بعثرة الصليب، لا بد لنا أن نعود إلى الفصل الأول من رسالة الرسول بولس الأولى إلى المؤمنين في مدينة كورنثوس باليونان. كتب الرسول بولس قائلاً: "فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله... لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة. ولكننا نحن نركز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة وللإغريق جهالة." (رسالة كورنثوس الأولى ١: ١٨، ٢٢ و٢٣) أراد الرسول بولس القول، أن بشارة

الصليب هي جهالة بالنسبة لمعظم الناس. فبشارة الصليب تعني، أن الإنسان بمجرد إيمانه بموت المسيح الكفاري على الصليب، ينال الغفران عن خطاياها، ويتبرر أمام الله، ويخلص. وهذا الأمر هو جهالة بالنسبة للكثيرين. والسبب لأن الإنسان ينظر إلى الصليب، على أنه ضعف وخنوع، ولا يعبر أبداً عن قوة. ويتساءل هل من الممكن أن يلجأ الله القوي إلى هذه الوسيلة الضعيفة لإنقاذ الإنسان؟

أما السبب الثاني، لأن الإنسان لا يريد أن يقبل أو يصدق، أنه بمجرد إيمانه بصليب المسيح، ينال الغفران عن خطاياها، ويخلص. فأين الحكمة في هذا الأمر؟ وهل من المعقول أن يستخدم الله الكلي الحكمة هذه الجهالة؟

ثم أضاف الرسول بولس أن اليهود يسألون آية، أي يسألون عجيبة، عجيبة عظيمة يرون فيها قوة الله وعظمته. وكان اليهود قد اعتادوا في تاريخهم الطويل، على عجائب الله العظيمة معهم. وكان اليهود يعتقدون، أن الله هو لهم وحدهم. وأن المسيح عندما يأتي سيكون ملكاً قوياً يحررهم من أعدائهم، ويجعلهم أمة عظيمة. ولهذا فوجئوا عندما بشرهم المسيح بالتحري من عبودية الخطية، فرفضوه وصلبوه. وكان من الطبيعي أن يعتبر معظم اليهود في أيام الرسول بولس، أن الصليب هو إشارة واضحة لضعف المسيح وعجزه، ولا تظهر فيه قوة الله البتة. ولهذا قال الرسول بولس أن رسالة الصليب كانت عثرة بالنسبة لهم. وتعني العثرة الأمر الذي يصطدم فيه الإنسان أثناء سيره، أو يتفاجأ به، فيسقط أو يبتعد عنه. وهذا ما حصل لليهود الذين عثروا بصليب المسيح، لأنهم تفاجئوا به، واعتبروه ضعفاً لا يمكن أن يكون مصدره الله القدير.

كان المجتمع في أيام الكنيسة المسيحية الأولى ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما: أولاً: اليهود والذين تهودوا وآمنوا بالله. ثانياً: الوثنيون، ويأتي على رأسهم اليونانيون أصحاب الحكمة والفلسفة في ذلك الزمان. ولهذا لاحظنا أن الرسول بولس ذكر في كلامه عن اليونانيين الذين يطلبون حكمة. أي يسعون وراء الحكمة السامية، والفلسفة العميقة، والمنطق الذي يسحر الأبواب. ولهذا كانت رسالة الصليب بالنسبة لهم جهالة. إذ كما ذكرنا قبل قليل، فلقد تساءلوا أين الحكمة والمنطق في صلب المسيح؟ وإذا كان الله هو كمال الحكمة كما يزعم المسيحيون، فكيف يلجأ إلى هذه الوسيلة التي لا معنى لها بالنسبة للحكمة البشرية والمنطق الصحيح؟

إذا كان صليب المسيح هو عثرة بالنسبة لليهود، وجهالة بالنسبة لليونانيين، لكن هل هو بالحقيقة كذلك؟ وماذا كان بالنسبة للمؤمنين بالمسيح؟ أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال الهام عندما كتب قائلاً: "وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالإيمان قوة الله وحكمة الله. لأن جهالة الله أحكم من الناس. وضعف الله أقوى من الناس." (الرسالة الأولى لكورنثوس ١: ٢٤ و ٢٥) إن المدعوين هنا هم الذين آمنوا بالمخلص المسيح، يهودا ويونانيين. إن الصليب هو قوة الله، لأنه بصليب المسيح وموته وقيامته، قهر الله أعداء الإنسان الثلاث، الخطية وإبليس والموت. فهل توجد قوة أعظم من هذه؟ إن القوة لا تتجلى فقط بالعجائب الباهرة، لكن بقوة الله الروحية

الخارقة. وفي نفس الوقت إن الصليب هو حكمة الله الفائقة لإنقاذ الإنسان. وهل توجد حكمة أعمق من هذه، أن يدفع الله ثمن خطايا الإنسان، فيفتح أمامه طريق الخلاص الأبدي، ويجنبه الدينونة والهلاك الأبدي.

ولهذا اعتبر الرسول بولس أن صليب المسيح بالنسبة للمؤمنين، سواء كانوا من أصل يهودي أم يوناني، هو قوة الله وحكمة الله. لأنهم اختبروا قوة تحرير الله لهم من العبودية، وتيقنوا من حكمة الله العجيبة في إنقاذهم. أجل، إن المؤمن بالمخلص المسيح، اختبر قوة تحرير الله له، عندما آمن وتيقن بأن المسيح مات على الصليب عوضا عنه، لكي يدفع ثمن خطاياهم. وقام من بين الأموات ليهبه الحياة الروحية الجديدة والخلود. لا بل إن المؤمن بالمسيح أدرك عمق حكمة الله، الذي أعدّ وسيلة الصليب لإنقاذه. فكيف كان بإمكان الإنسان أن يخلص وينجو من الهلاك الأبدي المحتم لولا هذه الوسيلة العجيبة، وسيلة الصليب؟

وماذا عنك مستمعي الكريم؟ هل ما تزال تعتقد أن بشارة الصليب هي بشارة ضعف وعجز؟ وهل ما تزال تظن أنها بشارة جهالة؟ مع العلم كما أوضحنا أن بشارة الصليب هي قوة الله وحكمة الله. ألا تود مستمعي العزيز أن تختبر قوة الله هذه، وتدرك عمق حكمته العجيبة؟ لم لا تؤمن الآن بموت المسيح الكفاري عوضا عنك على الصليب، فتحصل على الغفران الكامل لخطاياك، وتنال الحياة الأبدية.

لكن قد يتساءل البعض قائلين: هل حقا مات المسيح على الصليب؟ وما هو دليلكم على ذلك؟ إنها فعلا تساؤلات هامة، سنحاول الإجابة عنها في اللقاء القادم إن شاء الله.